ما أعجبها وراق لها تفانيه فى العرض ورفعة ذوقه، أثناء تفحصه لأنواع القماش يبدو منهمكًا، مستغرقًا، كأن وجوده كله انتهى إلى تلك اللحظة، كأنه يقوم بآخر مهمة، ينهض فجأة، يتراجع إلى الوراء، ينثنى بجذعه العلوى إلى الوراء، يطيل التحديق والنظر، أو يتحرك حولها متبعًا دائرة تقترب أو تنأى عنها، أصغى سيادته إلى وصفها فيروز وإعجابها بحماسة وشدة إخلاصه، قال مداعبًا.

«لولا أننى أعرفك كما أعرف نفسى لظننت بك..»

تضحك، تلك الضحكة المختصرة، المغناجة، الفواحة بالدلال، يصغى إليها فتتبدل أحواله، خاصة إذا سمعها عبر الهاتف، صوتها إذ يأتيه مرشحًا، متخثرًا، يتخلله كله، يفصفصه ويبسبسه رغم قربها منه، رأى منها ما لم يعرفه من غيرها، وصفها لبعض خاصته قائلا: ليس كمثلها أنثى!

هو من رأى ومن عرف، ومن تنقل من رحيق إلى رحيق، تفاصيل عديدة تروى عن مهاراتها وشدة إقبالها عليه، وقوة إرضائها له، ومعرفتها بكوامنه، بدءًا من نفاذها عبر مسام حسه باللمس والجس إلى بذلها الصوت خلال اتصالاتهما الليلية التى تستغرق وقتًا غير قصير ويتخلى فيها تمامًا عن حرصه أو خشيته من تسجيل مكالماته، يعرف أن القاعدة تقضى بذلك، جميع هواتف المسئول الأول مرصودة بحجة أن ذلك ضرورى لتاريخ المؤسسة ومسارها، لكن يتردد إنه مشترك فى خط دولى متصل مباشرة بالأقمار الصناعية لا يمر على الشبكات المحلية، يصعب مراقبته أو التنصت عليه من الأجهزة المحلية، لا يعنيه تجسس الوكالة المركزية CIA عليه، أو أى جهاز غربى آخر، لم يتحدث عبر هذا